

الفرج بعد الشدة

[104] خلق كثير من رعيتك إلا أنهم قد صاروا إلى دور خراب وأحوال قبيحة بلا فرش ولا

كسوة ولا دواب ولا ضياع موتى جوعا وهزالا قال: فما ترى ؟ قال يا أمير المؤمنين: في الخزائن والاصطبلات بقايا ما أخذ منهم فلو أمرت أن ينظر في ذلك فكل من وجد له شيء باق من هذا رد عليه وأطلقت عن ضياعهم لعاشوا وخف الاثم وتضاعف الدعاء وقويت العافية. قال: فوقع

بذلك عنى. فوقع عنه ابن أبي داؤد فما شعرنا من الغد إلا وقد رجعت نعمنا علينا ومات الواصل بعد ثلاثة أيام وفرج الواصل عزوجل عنا يا بن أبي داؤد وبقيت له المكرمة العظيمة في أعناقنا. حدثني أبو الحسن على بن هشام، قال: سمعت أبا الحسن على بن عيسى وأبا الحسن الايادي الكاتب يقولان: كان عبيد الواصل بن سليمان يقول كنت بحضرة أبي في ديوان الخراج بسر من رأى وهو يتولاه إذ دخل عليه أحمد بن خالد الصرفيني الكاتب فقام إليه أبي قائما من مجلسه وأقعده في صدره وتشاغل به ولم ينظر في عمل حتى نهض ثم قام معه وأمر غلمانهم بالخروج بين يديه فاستعظمت أنا وكل من في المجلس هذا، لان رسم أصحاب الدواوين صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لاحد ممن خلق الواصل تعالى ممن يدخل إليهم فتبين أبي ذلك في وجهي فقال لى يا بنى: إذا خلونا فأسألني عن السبب فيما عملته مع هذا الرجل. قال: وكان أبى يأكل في الديوان وينام فيه ويعمل عشيا فلما جلسنا نأكل لم أذكره إلى أن رأيت الطعام كاد ينقضى فقال لى هو: يا بنى شغلك الطعام عما قلت لك أن تذكرني به فقلت: لا ولكن أردت أن يكون ذلك على خلوة. فقال يا بنى: هذه خلوة ألسنت أنكرت أنت والحاضرون قيامى لاحمد بن خالد عند دخوله وخروجه وما عاملته به ؟ قلت: نعم. فقال: كان هذا يتقلد مصر فصرف عنها، وقد كانت مدته فيها طالت فوطئت آثار رجل لم أر أجمل آثارا منه، ولا أعف عن أموال السلطان والرعية ولا رأيت رعية لعامل أشكر من رعيته له، وكان الحسين المعروف بعرق الموت الخادم صاحب البريد بمصر أصدق الناس لنفع هذا، وهو من أبغض الناس إلى وأشدهم اضطراب أخلاق فلم أتعلق عليه بحجة